

ملاح إعلامية من تفسير القرآن الكريم

عبد المنعم نعيم¹¹ جامعة باتنة- الجزائر

ملخص:

عنوان هذه الدراسة: ، أتناول من خلالها بعض الملاح الإعلامية التي يتضمنها القرآن الكريم، وذلك من خلال تفسير بعض آيه الكريمة تفسيرا إعلاميا، يبرز جوانب من الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم، والذي يظهر من خلاله كمعجزة إعلامية سبقت التشريعات الإعلامية الحديثة إلى التأسيس لمبادئ وأخلاقيات العمل الإعلامي المعاصر.

ثم إن هذه الدراسة تهدف أيضا إلى التأكيد على إمكانية تفسير القرآن الكريم تفسيرا إعلاميا يعنى أساسا ببيان المبادئ والأسس الأخلاقية والأدبية التي يتطلبها العمل الإعلامي عند تحري الخبر ونقله.

مقدمة:

لقد تعددت طرائق تفسير القرآن الكريم، وتنوعت أساليب شرح آياته، ومع تعددها وتنوعها تبقى غايتها واحدة؛ وهي فهم الخطاب القرآني، وما تضمنه من أحكام وتكاليف وتوجيهات، وتقريب معانيه ليس فقط للمسلمين، بل حتى لغير المسلمين في محاولة - وهي ناجحة طبعاً- لإظهار عجائب القرآن الكريم، وبيان كماله وإعجازه في أرقى صوره وأضربه، وتأليف قلوب غير المسلمين على الإيمان به ككتاب إلهي، واعتناق رسالته السماوية التليدة، وهذا في حد ذاته إحدى الغايات الخفية لعلم التفسير، التي قد لا ينتبه إليها البعض.

وقد انصب اهتمام العلماء بتفسير القرآن الكريم على جوانب عدة، كلها تهدف إلى إخراج القرآن الكريم في حلة قشبية تظهر إعجازه الباهر في أسمى

عبد المنعم نعيبي.

أشكاله، فمنهم من اهتم ببيان الملامح البلاغية والبيانية واللغوية للقرآن الكريم، ومنهم من اهتم ببيان ملامحه العلمية التي أيدتها الاكتشاف المعاصرة، ومنهم من اهتم ببيان ملامحه التشريعية التي تظهر جانب التشريع والقانون القرآني الذي لا يعتريه نقص أو عيب أو فتور.

والحقيقة أنني من خلال هذه الدراسة المتواضعة، سأحاول أن نقف سوية على بعض الملامح الإعلامية التي تضمنتها بعض نصوص القرآن الكريم، والتي تؤكد إمكانية تفسيره تفسيراً إعلامياً، تظهر من خلاله ملامح الظاهرة الإعلامية القرآنية في أبهى حللها، وأعظم صورها، وقد عنونت هذه الدراسة بعنوان: "ملامح إعلامية من تفسير القرآن الكريم"

وقسمتها إلى ثلاثة مطالب، تناولت من خلال كل مطلب ملمحاً إعلامياً لآية من آي القرآن الكريم.

المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) (1)
أولاً: تحديد سياق الآية:

إن " تفقد الجند من شعار الملك والأمراء، وهو من مقاصد حشر الجنود وتسييرها، ومن واجبات ولادة الأمور تفقد أحوال الرعية وتفقد العمال ونحوهم بنفسه؛ كما فعل عمر في خروجه إلى الشام سنة سبع عشرة هجرية، أو بمن يكل إليه ذلك؛ فقد جعل عمر محمد ابن مسلمة الأنصاري يتفقد العمال " (2)

وهذا تماماً ما فعله سليمان عليه السلام؛ فعندما جمع جنده ووزعته وحاشيته من الجن والإنس والطير وسائر الحيوان، في أبهة وعظمة وانتظام، نظر فيهم متفقدا فلم يرى الهدهد من بين المجتمعين، (قال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين)؛ أي تساءل مستفسراً ومستوضحاً، "أأخطأ بصري الهدهد من الطير، أم غاب فلم يحضر؟!". (3)

ملاحع إعلامية من تفسير القرآن الكريم

ثم لما تيقن سليمان تغيب الهدهد عن حضور الاجتماع، توعده بالقول: (لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين)، وهذا هو سمت أي حاكم عادل، متى لمع اعتسافا في مملكته قومه بما يراه مناسبا حفظا للنظام العام؛ ولذلك توعده سليمان عليه السلام الهدهد إما بالعذاب الشديد وإما بالقتل.

أما العذاب الموصوف بالشدة ففيه ثلاثة أقوال: "أن ينتف ريش الهدهد كما قال ابن عباس، وزاد عبد الله بن شداد: تشميسه؛ أي تركه ملقى يأكله الذر والنمل، وكذا قال غير واحد من المفسرين، أو أن يحوجه إلى جنسه، أو أن يجعله مع أضداده"(4)، وأما القتل؛ فيراد به "ذبحه بقطع حلقومه"(5).

ولكن سليمان عليه السلام استثنى إن جاءه الهدهد بحجة مقنعة تبرر سبب تغيبه، فإنه ناج من العقاب، ولذلك نُقل عن سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد قولهما: (لما قدم الهدهد قالت له الطير: ما خلّفتك، فقد نذر سليمان دمك، فقال : هل استثنى؟، قالوا نعم، قال: (لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) ، قال: نجوت إذا) (6)؛ لأن الهدهد ما تغيب عن اجتماع سليمان عليه السلام إلا لعذر.

وبالفعل، إذا عرف السبب بطل العجب، فإن سبب تخلف الهدهد متعمدا عن اجتماع سليمان عليه السلام كان أمرا جللا يتعلق بعقيدة التوحيد الخالصة لله عز وجل، والتي انتهكتها بلقيس وقومها بالسجود للشمس من دون الله سبحانه، وزين لهم الشيطان قبيح فعلهم، فاعتسفوا عن السبيل القويم.

هنا أراد سليمان عليه السلام أن يتحقق صدق ما جاء به الهدهد من خبر مملكة سبأ، فقال له: (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين)، وكلفه أن ينقل إليهم على عجل رسالته التي لا تحتل أي تأخير؛ لينظر إن كانوا سيثوبون إلى رشدهم، ويتخلوا عن شركهم.

عبد المنعم نعيبي.

وقد خَلَدَ القرآن الكريم في آيه الكريمة (20 إلى 44) من سورة النمل حيثيات هذه القصة، وكيف أَسْلَمَت ملكة سبأ بلقيس في نهاية الأمر مع سليمان عليه السلام لله رب الأرباب.

ثانياً: الملامح الإعلامية المستفادة من الآية:

1- المهمة الإعلامية للهدهد:

أ- الهدهد كمخبر إعلامي:

قبل أن أبين وجه المهمة الإعلامية التي أنيطت بالهدهد على عهد سليمان عليه السلام، قد يتساءل ربما بعضهم: لماذا اتخذ سليمان أصلاً طائراً مثل الهدهد ضمن حاشيته ووزعته، خاصة وأن الهدهد طائر لا يعرف بالشراسة، كما لم يشتهر بالقوة، التي توجد مثلاً في كل ذات مخلب كالنسر وشبهه، أو كل ذات ناب كالأسد وشبهه؟!

وجواباً على ذلك أقول: إن سليمان عليه السلام اتخذ جنداً ووزعة وحاشية من الإنس والجن والحيوان، وأناط بكل عنصر من عناصر جنده ووزعته وحاشيته مهمة تناسبه، ومعروف عن الهدهد أنه "نوع من الطير، وهو ما يقرر، وفي رائيته نتن، وفوق رأسه قزعة سوداء، وهو أسود البرائن، أصفر الأجفان، يقتات الحبوب والدود". (7)

وقد قيل إن سليمان عليه السلام لما تفقد الطير، وبان له غياب الهدهد، إنما تفقده تحديداً؛ لأنه أراد أن لينجز المهمة التي أناطها به فلم يجده.

وقد اختلف العلماء على أقوال في تحديد المهمة التي كانت مسندة للهدهد، والتي كانت سبباً في افتقاد سليمان عليه السلام له، وتوعده من ثمَّ بالعقاب الوخيم.

أحدها: "أنه أخلَّ بالنوبة التي كان ينوبها، فلذلك تفقده". (8)

ثانيها: "أن سليمان كان إذا سافر أظله الطير من الشمس، وكان الهدهد يستر مكانه الأيمن، فمسته الشمس، فنظر إلى مكان الهدهد فلم يره". (9)

ملاح إعلامية من تفسير القرآن الكريم

ثالثها: "أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء"(10)؛ "ذلك أن مقاييس الماء كانت من اختصاصه، فقد كان يعرف الفصل بين قريبه وبعيده"(11)، وقيل: "إن الهدهد إذا نقر على موضع من الأرض"(12) "ورفر عليه علم أن به ماء"(13)، قال ابن عباس: (فكانوا إذا سافروا نقر لهم الهدهد عن أقرب الماء في الأرض...) (14)، وقيل: "إن الأرض كانت كالزجاج للهدهد، يرى من تحتها فيدل على مواضع الماء حتى يحضره".(15)

وبصرف النظر عن هذا الخلاف، يمكن أن تكون مهمة الهدهد مجتمعة في كل ما ذكر، وإن كان أكثر المفسرين رجحوا أن يكون التنقيب عن الماء هو المهمة الأساسية التي كان طائر الهدهد مكلفا بها، استنادا إلى الأثر السابق ذكره ابن عباس .

على كل، لندع هذا الخلاف جانبا، فواضح أن الهدهد كان يباشر مهامها إلزامية، جعلت من سليمان عليه السلام يتوعده بالعقاب؛ لإخلاله بواجب تأديتها على الوجه المطلوب.

إضافة إلى هذه المهام الإلزامية، مارس الهدهد مهمة أخرى وإن كانت اختيارية، على اعتبار أنه لم يكلف بها رسميا من قبل مليكه سليمان عليه السلام؛ تتمثل هذه المهمة في الإعلام والإخبار عن وجود مخالفة شرعية شنيعة ترتكبها ملكة سبأ، وتستوجب من سليمان النبي الملك التدخل السريع، واتخاذ التدابير والإجراءات الاستعجالية الملائمة لإنهاءها، ومعاقبة مرتكبيها.

إذن، يظهر أن الهدهد باشر مهمة إجبارية إلزامية؛ وهي دلالة سليمان عليه السلام على مواطن الماء على قول أكثر المفسرين، وغيرها على قول بعضهم الآخر، وباشر أيضا مهمة أخرى إعلامية، لكن كانت باختيار محض من الهدهد نفسه؛ أي لم يكلفه أو يلزمه بها سليمان عليه السلام، والتي كادت أن تكلفه حياته، وتتمثل هذه المهمة في نقل خبر مملكة سبأ لسليمان عليه السلام.

ب- الهدهد كمراسل إعلامي:

المراسل الإعلامي: مهمة من المهام الإعلامية المتعارف عليها لدى المشتغلين في الحقل الإعلامي ويضطلع بإفادة العنوان أو الجهاز الإعلامي الذي يشتغل فيه بالأنباء والأخبار الإعلامية من مكان الحدث. (16)

وقد باشر الهدهد مهمة شبيهة بالمراسل الإعلامي على سبيل التكليف والإلزام؛ لأن سليمان عليه السلام كلفه بإيصال رسالته المستعجلة إلى أهل سبأ، وأن يعود إليه بخبر جوابهم، فقال كما حكى عنه القرآن الكريم: (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم)، ثم شرط عليه قائلاً له: (ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون)؛ أي إذا أبلغتهم رسالتي "فانصرف عنهم، وقف قريباً منهم، وانتظر ماذا يردون من الجواب". (17)

وهذا ما صنعه الهدهد تماماً، فقد حمل رسالة سليمان عليه السلام، قيل في جناحه كما هي عادة الطير، وقيل: بمنقاره فأتى مملكة سبأ، وقصد قصر بلقيس فدخل الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، من كوة كانت في جهة الشمس ساعة تطلع فيها تسجد لها، فجاء الهدهد حتى وقف في تلك الكوة فسدها، فاستبطأت بلقيس طلوع الشمس فقامت تنظر، فرمى الهدهد إليها برسالة سليمان عليه السلام، ثم تولى جانباً إلى مكان قريب، أدبا وسياسة ليكون ما يقولونه بمسمع منه (18)، وعملاً بأوامر سليمان عليه السلام الذي قال كما جاء في القرآن: (ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون).

وأنصت الهدهد بإمعان إلى رد بلقيس وما كان من أمر مشورتها لحاشيتها ثم قرارها الأخير بإرسال هدية إلى سليمان عليه السلام، قالت: (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون)(19)؛ "أي سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك منا ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه في كل عام، ونلتزم له ويترك قتالنا ومحاربتنا، قال قتادة رحمه الله: ما

ملاحم إعلامية من تفسير القرآن الكريم

كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس، وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه". (20)

ثم قفل الهدهد إلى سليمان عليه السلام عائدا بخبر جواب ملكة سبأ؛ لأن قوله تعالى: (ثم تولى عنه فانظر ماذا يرجعون)؛ يعني أن الهدهد تولى جانبا ليستمع إلى رد بلقيس وحاشيتها، ثم يرجع به إلى سليمان عليه السلام على سبيل الإخبار والإعلام، وهو ما أشار إليه ابن جرير الطبري.(21)

فإذن واضح مما سبق ذكره، أن الهدهد اضطلع بمهمة شبيهة بما يعرف في اصطلاح الإعلاميين بالمراسل الإعلامي؛ فالهدهد تنقل إلى مكان الخبر وهو مملكة سبأ، ثم عاد منه بتقرير إخباري مفصل قدمه إلى سليمان عليه السلام، ليتخذ تأسيسا عليه موقفه التالي اتجاه مملكة سبأ.

2- مبدأ تحري مصداقية الخبر الإعلامي:

لا شك أن تحري المصداقية عند استقاء الخبر الإعلامي ونقله من مظانه وتبليغه، قاعدة هامة من قواعد العمل الإعلامي الموضوعي والنزيه، وأسس هام من أسس أخلاقياته والتي يستحيل على رجل الإعلام بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها أو التفريط فيها، ولذلك فالمفروض أن من نُقل إليه خبر إعلامي، أن لا يقبله هكذا مباشرة قبل أن يتحرى درجة صدقه، من خلال الحجج والشواهد التي يستند إليها ناقل الخبر.

ولو تأملنا رد سليمان عليه السلام على ما نقله إليه الهدهد من أمر مملكة سبأ، نجد أنه عليه السلام، قد التزم بكل صرامة مبدأ التثبت في مصداقية الخبر؛ فقال ردا على خبر الهدهد: (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين)؛ أي "سننظر فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك كله أم كنت من الكاذبين فيه". (22)

عبد المنعم نعيبي.

إذن سليمان عليه السلام لم يتسرع في قبول خبر الهدهد، والذي اتخذه عذرا لتبرير غيابيه عن الاجتماع، بل على العكس من ذلك؛ تمهل سليمان عليه السلام، وأعطى لنفسه فرصة ليمعن النظر، ويتثبت أكثر من صدق الهدهد من عدمه، وأعلنا صراحة مبدأ التثبت في مصداقية خبر الهدهد قائلا: (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين).

قال ابن عاشور: (والنظر هنا نظر العقل وهو التأمل لاسيما وإقحام "كنت"، أدخل في نسبته إلى الكذب من صيغة "أصدقت"؛ لأن فعل، "كنت من الكاذبين" يفيد الرسوخ في الوصف بأنه كائن عليه، وجملة "من الكاذبين"، أشد في النسبة إلى الكذب بالانخراط في سلك الكاذبين بأن يكون الكذب عادة له، وفي ذلك إيذان بتوضيح تهمته بالكذب ليتخلص من العقاب، وإيذان بالتوبيخ والتهديد وإدخال الروع عليه بأن كذبه أرجح عند الملك ليكون الهدهد مغلب الخوف، وذلك أدخل في التأديب على مثل فعلته وفي حرصه على تصديق نفسه بأن يبلغ الكتاب الذي يرسله معه). (23)

المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم) (24)

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بعض فعال الفسقة والمنافقين؛ الذين كانوا يشيعون الإذاية بين المسلمين، ونجد من تلك الفعال مثلا ما ذكره ابن كثير قال: (كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه أمةٌ فوثبوا عليها، وقال مجاهد يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولايته) (25)؛ ولذلك أنزل الله عز وجل قوله: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من

ملاحع إعلامية من تفسير القرآن الكريم

جلايبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين واتقين الله إن الله كان غفورا
رحيما). (26)

أيضا من الخصال الفاسدة لأولئك الفسقة والمنافقين فعل الفاحشة، وإشاعة
الكذب، وبث الإرجاف بين مسلمي المدينة؛ لإضعاف قوتهم وعزيمتهم، فتوعدهم
رب العزة عز وجل بقوله: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا).

واختلف العلماء في تحديد معنى قوله تعالى: (لنغرينك بهم) على أقوال:
"أحدها: معناه: لنسلطنك عليهم، قاله ابن عباس.

الثاني: لنحرشنك بهم، قاله قتادة.

الثالث: لنعلمنك بهم، قاله السدي.

الرابع: لنحملنك على مؤاخذتهم، وهو معنى قول قتادة". (27)

ومهما كان المعنى المقصود، فإن فيه دليلا على أن الكذب والإرجاف، فعل
شنيع وقبيح، يستحق فاعله العقاب الشديد.

ثانيا: الملاحع الإعلامية المستفادة من الآية:

لقد أشارت الآية الكريمة إلى أحد الأساليب التي كان يلجأ إليها المنافقون
وأترابهم من مرضى القلوب والعصاة، قصد تقويض دولة الإسلام في المدينة،
والتأثير في عزائم المسلمين، ولتفرقة شملهم، وإضعاف همتهم؛ حتى يهنوا عن
مقارعة أعدائهم، هذا الأسلوب الدنيء هو الإرجاف، والذي حق أن ينعت به أهله
كما نعتهم به القرآن الكريم في قوله: (والمرجفون).

والإرجاف من المصطلحات القرآنية التي تبناها علماء الإعلام والاتصال؛
فأما معنى الإرجاف في القرآن الكريم فهو إذاعة وإشاعة الكذب في الناس على وجه
الإفساد، وبنية إثارة الفتنة بينهم، وقيل: "إن الإرجاف التماس الفتنة قاله ابن
عباس، وسميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها وإفاضة الناس فيها" (28)،

عبد المنعم نعيبي.

والمرجفون هم "الذين يذكرون من الأخبار ما يضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين قاله قتادة"(29)، نحو قولهم: "جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء" (30)، أو قولهم: "غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ".(31) وأما معنى الإرجاف عند علماء الإعلام والاتصال: فهي الدعاية التي يقصد منها نشر الأخبار الكاذبة و الوهمية التي تهز المشاعر والأحاسيس، وتوجه الرأي الجماهيري لتصديقها، قصد تأليبها على شخص معين أو جماعة معينة أو جهة معينة، فإذا بنى الإرجاف هو الكذب والوهم والافتراء.

وعرفه خضير شعبان بقوله: (وهي التي تخاطب الغرائز و الانفعالات، وتلجأ إلى حشد الأكاذيب والأوهام مع إخفاء أهدافها واتجاهها ومصدرها). (32) أما الفائدة الإعلامية والشرعية التي نستفيد منها من الآية الكريمة فهي: تحريم الإشاعات المغرضة والدعاوى المرجفة التي لا تستند إلى سند صحيح، والتي يراد منها فقط بث الفتنة بين الناس، وزرع الفرقة بينهم، وترويع الأمنين وإخافتهم. ولما كان أثر الإرجاف في إثارة الفتنة واضحاً، فقد قرر القرآن مبدئين هامين:

المبدأ الأول: (الفتنة أشد من القتل). (33)

المبدأ الثاني: (الفتنة أكبر من القتل). (34)

فالفتنة والقتل كبيرتان من الكبائر؛ غير أن الفتنة أعظم وأكبر وأشنع من القتل، باعتبار أن أثرها ومفاسدها أشد وأعظم من القتل نفسه؛ فغالبا أن القتل المتعمد يفسد المودة بين القاتل وأهل القتل، أما الفتنة فإن مفاسدها أعم وأشنع؛ فإنها قد تفسد المودة بين قبائل وجماهير وشعوب ودول، ولذلك نجد أن الدول المتنازعة تلجأ إلى الإرجاف ودعاوى الإشاعة والكذب كأحد أساليب الحرب النفسية؛ التي أثبت الواقع أنها قد تكون مفتاح الانتصار بعيداً عن اللجأ إلى السلاح المادي.

ملاحم إعلامية من تفسير القرآن الكريم

عموماً، إن تلافي إذاعة الإرجاف وإشاعته بين الجماهير، هو غاية ما تدعوا إليه اليوم موثيق أخلاقيات العمل الإعلامي، والتي تحرص على تكريس النزاهة والموضوعية في نقل الأخبار وإذاعتها.

المطلب الثالث: تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على فعلتهم نادمين) (35) أولاً: تحديد سياق الآية:

وردت الآية الكريمة في سياق ذكر "آداب أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام" (36)، فقال الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم. يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون. إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم). (37)

ثم أتبع الله سبحانه هذه الآداب الخاصة بمعاملة النبي ﷺ بأدب رفيع آخر، ولكنه خاص بكيفية معاملة الفاسق إن نقل لنا خبراً أو نبأً، فقال عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على فعلتهم نادمين).

وعن سبب نزول هذه الآية يقول أبو الحسن الواحدي: (نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط بعثه رسول ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيماً لله تعالى ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهأبهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وَهَمَّ أن يغزوهم،

عبد المنعم نعيبي.

فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ من غضب هو غضب رسوله، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبيا فتبينوا) يعني الوالدين عقبة. (38)

ثانيا: الملامح الإعلامية المستفادة من الآية:

من خلال الآية الكريمة يأمرنا الله تعالى بوجود التثبت والتبين فيما ينقله لنا الفاسق من أخبار، وهذا واضح من قوله جل وعلا: (فتبينوا) ، فيه قراءتان "قرأ الجمهور فتبينوا بفوقية فموحدة فتحثية فنون من التبين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف فتثبتوا بفوقية فمثلثة فموحده ففوقية من التثبت، والتبين: تطلب البيان وهو ظهور الأمر، والتثبت التحري وتطلب الثبات وهو الصدق، ومآل القراءتين واحد وإن اختلف معناهما". (39)

والخطاب الذي تضمنه مطلع الآية: "يبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها، ويقرر ضرورة التثبت من مصدرها". (40)

وإنما خص خبر الفاسق بضرورة التثبت والتحقق منه؛ "لأن الفاسق مظنه الكذب، فضعف وزعه الديني يجريه على الاستخفاف بالمحذور، وربما يخبر به في شهادة أو خبر يترتب عليهما إضرار بالغير أو بالصالح العام، ويقوي جرأته على ذلك دوما إذا لم يتب ويندم على ما صدر منه ويقلع عن مثله" (42)؛ ثم علل الله سبحانه الأمر بالتبين والتثبت بقوله: (فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

ولاشك أن قبول خبر الفاسق دون تثبت أو تبين يوصل إلى مفاسد ومضار لا تحمد عقباها، وتضع من نقل الفاسق حولهم أخباره الكاذبة في موضع تهمة هم منها

ملاحع إعلامية من تفسير القرآن الكريم

براء، هذا مع ما تسببه إذاعة خبر الفاسق من إثارة الناس، وإحياء الفتنة بينهم، ومع ما يترتب عنها من تباغض وتدابير وتشردم.

عموما إن الأمر بالتثبت والتبين أصلا عظيم في نقل الأخبار وإذاعتها، وقد قررت الآية الكريمة هذا الأصل تقريراً بليغاً، بينت من خلاله خطر قبول خبر الفاسق وتصديقه على الصالح العام.

كذلك قررت الآية بمفهوم المخالفة مواصفات من يقبل خبره ولا يرد، فإذا كان الفاسق مردود خبره لضعف وازعه وفساد عدالته؛ فإن العدل المأمون في دينه يقبل خبره، ولا يحتاج في ذلك إلى تثبت وتبين؛ لأن الأصل فيه العدالة والأمانة، إلا إذا وجد من القرائن ما يدعوا ربما إلى زيادة التثبت لبيان حقيقة الخبر، كما حصل من طائر الهدهد.

إذن، لابد من تحري مصداقية الخبر وعدالة من ينقله، وهذا أيضا من المبادئ الإعلامية الهامة التي تبنتها المواثيق والتشريعات الإعلامية الحديثة.

خاتمة وتوصية:

في ختام هذه الدراسة الموجزة، أحب أن أكد على أن القرآن الكريم بالفعل هو معجزة الله الخالدة؛ الذي لا تنقضي عجائبه الباهرة، ولا تنضب فوائده الكثيرة.

وكما حاول العلماء تفسير معاني القرآن الكريم تفسيراً علمياً، وبينوا من خلاله للعالمين قاطبة جوانب من الإعجاز العلمي التي تضمنتها نصوصه الكريمة، والتي أكدتها الاكتشاف العلمية المعاصرة، فإني من خلال هذه الدراسة أؤكد على أن القرآن الكريم أسس لبعض مبادئ أخلاقيات وأدبيات العمل الإعلامي المتعارف عليها حديثاً، وهذا يُظهر القرآن الكريم كمعجزة إعلامية متميزة، تتيح إمكانية دراسة الظاهرة الإعلامية في القرآن الكريم، والتأسيس لإعلام قرآني متميز.

ويكفي أن الله عز وجل قال: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا). (43) فابتدأ الله خطابه للناس جميعهم فقال: (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)، والتعارف فيه الإعلام؛ وهو ما يتناقله الناس من أفكار ومعارف وأحاسيس ونحو ذلك، وهو دليل الاتصال؛ أي تواصلوا لتعارفوا.

وافتح الآية: بيا أيها الناس؛ لئلا يُتوهم أن الاتصال كظاهرة فطرية إنسانية هو من خصائص أهل الإيمان فحسب، بل هو من خصائص الناس عموم بصرف النظر عن ألوانهم، وعقائدهم، وأعرافهم، وعاداتهم، وأمصارهم، وأعمارهم؛ لأن الله تعالى علل خلق الخلق شعوباً وقبائل ليتواصلوا فيتعارفوا، فيستمر التفاعل الإنساني الذي ارتضاه الله عز وجل منذ أن خلق الأرض وبث الحياة فيها إلى أن يرثها عز وجل ومن عليها فتكون العاقبة للمتقين.

ملاح إعلامية من تفسير القرآن الكريم

الهوامش:

1. سورة النمل، الآيتان: 27-28
2. أنظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دط، دت، ج 25، ص 245.
3. أنظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق د/ كمال علي علي الحمل، دار للتوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 1419 هـ - 1998 م، ج3، ص 437.
4. أنظر: ابن كثير: المكان نفسه وأبو الحسن الماوردي: النكت والعيون، مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1397 هـ - 1977، ج3، ص 191.
5. أنظر جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين مع حاشية العلامة الصاوي، دار الفكر د م ن، د ط، 1397 هـ - 1977، ج3، ص 191.
6. أنظر: ابن كثير: المصدر السابق، 437/3.
7. أنظر: محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، 245/18.
8. أنظر: فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 هـ - 1990 هـ ج 12، ح 24، ص 163.
9. أنظر: فخر الدين الرازي: المكان نفسه، الماوردي: المصدر السابق: 201/4، أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 هـ - 1993 م، ج 8، ص 61.
10. أنظر: الماوردي: المصدر السابق، 201/4.

عبد المنعم نعيبي

11. أنظر: الرازي : المصدر السابق، 163/24/12.
12. أنظر: الطبري: المصدر السابق، 506/9.
13. أنظر: ابن عاشور: المصدر السابق: 245/18.
14. أنظر: الماوردي: المصدر السابق، 201/4.
15. أنظر: الماوردي: المصدر السابق، 201/4.
16. للاستزادة حول تعريف المراسل الإعلامي أنظر: خضير شعبان: مصطلحات في الإعلام والاتصال، دار اللسان العربي للترجمة والتأليف والنشر، الجزائر، ط1، 1422 هـ ص 133-134، د/ محمد جمال الفار: المعجم الإعلامي، دار أسامة للنشر والتوزيع، دار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 292-296.
17. أنظر: جلال الدين وجلال الدين السيوطي: المصدر السابق، 194/3.
18. أنظر: ابن كثير: المصدر السابق. 438/3، ابن جرير الطبري: المصدر السابق. 512/9 الرازي: المصدر السابق، 166/24/12.
19. سورة النمل، الآية 35.
20. أنظر: ابن كثير: المصدر السابق، 440-339/3.
21. أنظر: ابن جرير: المصدر السابق، 512/9.
22. أنظر: المكان نفسه.
23. أنظر: ابن عاشور: المصدر السابق. 256/18 .
24. سورة الأحزاب، الآية 60.
25. أنظر: ابن كثير: المصدر السابق، 630/3.
26. سورة الأحزاب، الآية 59.

ملاح إعلامية من تفسير القرآن الكريم

27. أنظر: الماوردي: المصدر السابق 425/4، ابن كثير: المصدر السابق 631/3.
28. الماوردي: المصدر نفسه: 424/4.
29. ابن كثير: المصدر السابق: 631/3.
30. الرازي: المصدر السابق: ص 134.
31. الماوردي: المصدر السابق، ص 134.
32. خضير شعبان: المصدر السابق، ص 134.
33. سورة البقرة، الآية 191 .
34. سورة البقرة، الآية 217.
35. سورة الحجرات، الآية 6.
36. أنظر: ابن كثير: المصدر السابق: 247/4 .
37. سورة الحجرات، الآية 1-5.
38. أبو الحسن النيسابوري: أسباب النزول. مطبوع مع مختصر من تفسير الطبري لأبي يحيى التيجي وهداية الرحمان في تجويد القرآن لعبد الوهاب دبس وزيت والمعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم لمروان العطية، قدم له وراجعاه مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط7، 1415 هـ ، 1995هـ، ص 407.
39. أنظر: ابن عاشور: المصدر السابق: 231/25/12.
40. أنظر سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط16، 1410 هـ، 1990م، مج 5، ج 19، ص 3341.
41. أنظر: المكان نفسه، ابن عاشور: المصدر السابق. 231/25/12.
42. سورة النمل، الآية 35.